



جئت ولم أرَ لكني سأنتصر

في عصر الامبراطورية، يفترض ان تكون زيارة الامبراطور مناسبة لاستعادة القول المأثور الذي نطق به يوليوس قيصر، مؤسس الامبراطورية الرومانية: "جئت ورأيت وانتصرت". لكن امبراطور هذا الزمن مضطر للاكتفاء بالجزء الاول فحسب، ولن يستطيع القول اكثر من انه جاء الى تخوم بغداد ولم يرَ منها شيئاً، فبات من الصعب عليه ادعاء الانتصار منذ الآن.

طبعاً، الفرق بين يوليوس قيصر وجورج بوش، ان الأول، وان يكن مطالباً في زمانه بالتعاون مع مجلس الشيوخ الروماني والرأي العام، فانه لم يصل الى حد تنظيم ظهوره على رأس القوات العسكرية بناء على الروزنامة الانتخابية ومشورة كارل روف، المستشار المولج لتنظيم الحملة الأيالة الى اعادة انتخاب جورج بوش بعد اقل من سنة من اليوم.

ومع ذلك، يخطئ من يعتقد ان هذه الزيارة الخاطفة لا تصب الا في خانة السياسة الداخلية الاميركية، او انها مجرد مناسبة للتقاط بعض الصور التي سوف تُستخدم لاحقاً في اشربة الدعاية الانتخابية. على العكس، ان مثل هذه الزيارة، حتى وإن كانت دوافعها مباشرة داخلية، تفيد ان الادارة الاميركية لا تملك الا ان تأخذ الشؤون العراقية على محمل الجد، وانها ستظل على اهتمامها بها على الاقل طيلة السنة المقبلة. لا يعني ذلك ان الرؤية الديموقراطية التي اعاد بوش طرحها في خطابه امس سوف تصبح حقيقة، انما يعني فقط، وهذا ليس بتفصيل، ان الولايات المتحدة ليست في وارد طي حلمها العراقي بسرعة.

فعندما يكرر الرئيس الاميركي في ساحة المعركة، وعلى مسمع من كل مواطنيه، ان بلاده سوف تنتصر، رغم انه بالكاد جاء الى بغداد ولم يرَ منها شيئاً، يمكن التوقع انه سيبدل كل جهود جيوشه في هذا السبيل. واذا لم يكن ذلك كافياً للانتصار، الا انه يمكن الجزم في المقابل بان الجملة التي وردت في خطابه حول عدم استعداد الولايات المتحدة للتراجع امام "حفنة من المجرمين والقتلة"، ستبقى موضع التنفيذ على الاقل حتى ٢ تشرين الثاني ٢٠٠٤.

ولعل في هذا الالتزام الرسالة الحقيقية الموجهة الى العراقيين، سواء المنضوين منهم تحت ألوية اعضاء مجلس الحكم الانتقالي او القطاع الواسع من الرأي العام العراقي الذي يتوق الى استعادة حياة طبيعية من دون ان يثق في قدرة الولايات المتحدة على تأمينها.

فبخلاف ما سارعت اليه الفضائيتان العربيتان المقاومتان (للمناسبة، ما الذي اصاب وعد "العربية" بالتغيير؟)، فان السرية التي احاطت بزيارة بوش لا تدعو بالضرورة العراقيين الى الاستخفاف بها. فمؤيدو مجلس الحكم، على اختلاف مشاربهم، سوف يجدون فيها ضماناً للاستمرار في الاشهر المقبلة، وان تغيرت صيغة الحكم الانتقالي نفسها. اما المواطنون العاديون، اذا كان من معنى لهذه الكلمة في بلد شديد الاستقطاب كالعراق، فقد لا يكتسبون المزيد من الثقة في القدرات الاميركية، الا انهم سيتأكدون من ان الولايات المتحدة باقية بينهم الى حين، مما قد يقود بعضهم الى تفضيل التطبيع السريع مع الواقع الاميركي، وان قاد آخرين الى اللحاق بحركة الاعتراض ضد الاحتلال.



الرسالة قد يغيب معناها طبعاً عن اعداء الولايات المتحدة عن الارض، سواء أكانوا من اتباع نظام صدام حسين ام من دعاة "الجهاد من اجل الجهاد". لكنه قطعاً لن يغيب عن الدول المعنية بالشأن العراقي التي تقيم حسابات اكثر برودة، وهذا الشق الثالث من الرسالة التي تطلقها زيارة بوش، بل لعله الشق الاكثر قابلية للنفوذ الى عقل المرسل اليهم. فاذا كان الناخب الاميركي يملك متسعاً من الوقت لاتخاذ قراره، واذا كان العراقي المسلح والمناهض للولايات المتحدة غير مستعد لتغيير رأيه (او مصلحته)، فإن الدول المجاورة في المقابل تدرك ان الفرق بين يوليوس قيصر وجورج بوش ليس في مصلحتها، ذلك انها المقصودة في المقام الاول بالشعار الذي يمكن استشفافه بين سطور خطاب الامبراطور الاميركي: جنّت ولا احتاج الى ان ارى حتى انتصر.

سمير قصير



Id-Reference	03-Pr-000712	
Media	(Support)	HC
Title		جنت ولم أر لكني سأنتصر
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date	28/11/2003	٢٠٠٣/١١/٢٨
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	يوليوس قيصر - جورج بوش - كارل روف - صدام حسين
	Locations	عراق - بغداد - ولايات متحدة
	Dates	٢ تشرين الثاني ٢٠٠٤
	Themes	امبراطورية رومانية - سياسة اميركية - دعاية انتخابية - سياسة داخلية اميركية - احتلال عراق - ديموقراطية - فضائيات عربية - امبراطور اميركي - جورج بوش - اعلام عربي - نظام صدام حسين - جهاد - ولايات متحدة - انتخابات رئاسية اميركية - امبراطور اميركي
Subject		